

اللسانيات التوليدية الغربية منطلق إبداع وتميز "الفاسي الفهري" العلمي

نسيسة شمام¹

سوريا

تاريخ النشر 2016/04/01	تاريخ القبول 2016/03/01	تاريخ الإرسال 2016/02/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

①

ملخص :

تروم هذه المداخلة الموسومة بـ "اللسانيات التوليدية الغربية منطلق لإبداع وتميز" الفاسي الفهري "العلمي" تسليط الضوء على جهد العالم المغربي عبد القادر الفاسي الفهري في مجال اللسانيات التوليدية التحويلية وتميزه في كثير من المسائل التي نقد فيها النظرية التوليدية، وكذا الإضافات التي قدمها للتوليدية العالمية والعربية على حد سواء.

الكلمات المفتاحية : التوليدية ، اللسانيات العربية ، الفاسي الفهري

Résumé:

Cette intervention, intitulée "Linguistique Génératif occidentale est le point de départ de la création scientifique de Fassi Fihri, illustrant les efforts du scientifique marocain Abdelkader Fassi Fihri dans le domaine de la linguistique obstétricale transformationnelle et sa distinction dans de nombreuses questions ayant critiqué la théorie obstétricale et ses ajouts aux Linguistique Générative mondiaux et arabes.

Mots-clés: Génération, linguistique arabe, Fassi Fihri

مقدمة :

تعد النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي ، واحدة من أهم النظريات اللسانية في عصرنا ، إذ تلقفها الباحثون في مختلف أصقاع الأرض وعكفوا على دراستها وتدريسها ، ولم يجد الباحثون العرب عن هذا المسلك فقد كان للنظرية – منذ مطلع السبعينيات- نصيب كبير في كثير من الأعمال مشرقا ومغربا نذكر منهم؛ ميشال زكريا ومحمد علي الخولي (لبنان) ، مازن الوعر (سورية) ، داود عبده (الأردن) ، مرتضى

¹ - نسيسة شمام

جواد باقر(العراق)، حسام الهندساوي (مصر). أما في المغرب العربي فنجد : عبد القادر الفاسي الفهري، مصطفى غلفان (المغرب) .

ثم إن المتمعن في هذه الدراسات يجدها على ثلاثة أنواع :

- النوع الأول : تبسيط لمفاهيم النظرية التوليدية، على غرار ما قدمه ميشال زكريا في بعض مؤلفاته.
 - النوع الثاني : تطبيق لنماذج النظرية التوليدية التحويلية على قواعد ومفاهيم اللغة العربية ، وغالبا ما ارتبط ذلك بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
 - النوع الثالث : ابداع في الكتابة اللسانية التوليدية العربية ساهم في اغناء النماذج التوليدية الغربية واللسانيات العربية على حد سواء.
- في هذه المداخلة الموسومة بـ "اللسانيات التوليدية الغربية منطلق لإبداع وتميز" الفاسي الفهري "العلمي" سأخص النوع الثالث بالدراسة ، حيث إنني سأسلط الضوء على ما قدمه هذا العَلم من أفكار تمس النظرية التوليدية التحويلية من جهة واللسانيات العربية من جهة أخرى ، مجيبة على الاشكال الآتي : كيف تأثر عبد القادر الفاسي الفهري بالنظرية التوليدية التحويلية وأثر فيها ؟ وللإجابة على هذا الاشكال أقف عند المحطات الآتية :

- 1- المقصود باللسانيات التوليدية وأهم أعلامها في المغرب العربي.
 - 2- جهود عبد القادر الفاسي الفهري في اللسانيات التوليدية (نقده لنظرية تشومسكي وإضافاته) :
الرتبة ، التوسيط وازدواجية الرتبة، التنميط المتعدد، البناء لغير الفاعل
 - 3- ملاحظات عن الكتابات اللسانية التوليدية المغربية.
- 1- مفهوم اللسانيات التوليدية: نشطت الدراسات اللسانية في أوروبا و أمريكا خلال القرنين 19 و 20. وكان أهم ما ظهر حينها القواعد التوليدية التحويلية (Transformational Générative Grammar) لتشومسكي (Chomsky)، إذ أصدر كتابا عام 1957م عنوانه "البنى التركيبية Syntactic Structures"، فيه "مرورٌ من مفهوم العِلم المبني أساسا على الملاحظة و تصنيف الوقائع إلى مفهوم يعطي الأولوية للنماذج (أمثلة) النظرية التي بواسطتها تفسر الوقائع"¹.
- أي من منطلق أن اللسانيات هي الدراسة العلمية للغة فإنه يجب دراسة النماذج اللغوية في كل لغة لأنها هي التي تسمح بإبراز خصيصة هذه اللغة دون غيرها. وفيه انتقال من البنية التي تنطلق من الملاحظة في وصف الظواهر اللغوية إلى علم جديد يفسر الواقع اللغوي هو اللسانيات التوليدية.
- ومن هنا فإن الكتاب قد أثار " في اللسانيات البنوية في الستينات ، إذ صاغ النظرية اللغوية البنوية و التقليدية بطريقة جديدة يخال القارئ أمامها أنه بصدد قراءة مؤلف في الرياضيات "²

فالتوليدية نظرية أعادت صياغة البنية بشكل علمي جديد يعتمد الرموز الرياضية في الدلالة على أجزاء الجملة التي يحللها في شكل مشجر أو الأجزاء المكونة لجملة ما نحو: (ج = ف + س) ، كما قام تشومسكي في هذا الكتاب " بانتقاد النموذج التوزيعي و النموذج البنوي في مقوماتهما بسبب أنهما لا يفسران عددا كبيرا من الظواهر اللسانية ³."

حيث إن تشومسكي قدم العلة من نقده للسانيات التوزيعية و البنوية المتمثل في اهتمامها المغرق بالبنية الشكلية للغة مما يبعدها – حسب رأيه- عن العلة الحقيقية لدراسة اللغة وهو التفسير .

فالمهم عنده ليس الشكل الذي تبدو عليه اللغة بل لماذا أتى التركيب على هذا النحو ؟

وهذا يجيب عنه التفسير فقط ، إضافة إلى أنه " أشار إلى بعض ملامح النظرية الجديدة التي أتى بها وتخطى فيها اللسانيات البلومفلية ، لكنه لم يشر إلى المنهج الذي وضعه على المستوى الدلالي " ⁴

وبهذا يعد كتاب البنى التركيبية بداية تأسيس لنظرية لغوية جديدة ، إذ قام تشومسكي أولا في كتابه بنقد النظريات اللسانية السابقة كالسلوكية و البنوية و التوزيعية ، لكونها تهمل التفسير . لكنه لم يوضح المنهج الذي اتبعه في دراسة الظاهرة اللغوية من حيث الدلالة .

و على الرغم من ذلك فنظريته التوليدية استفادت من النتائج التي توصل إليها النحو التقليدي و النحو الوصفي ، على الرغم من أن تشومسكي قد " انتقد النحو التقليدي في شكله العام و تعريفاته وقواعده مع أنه أكد أن النحو التقليدي يعطى تصورا أكثر عمقا و ملائمة عن طبيعة اللغة " ⁵.

فالقواعد التوليدية " لم تدحض الدراسة التقليدية كاملة بل إنها أقرت بصحة وسلامة بعض قوانينها ورأت بأن على النحو إن كان كفؤا أن يزودنا بقاعدة تفسر لنا كيف تستعمل الجمل و كيف تفهم ؟ " ⁶.

و لهذا السبب نقد تشومسكي الدراسات السابقة لنظريته كالسلوكية والبنوية والتوزيعية لاعتمادها الشكل دون المضمون ، إذ يرى بأن المهم هو تفسير الجمل و ليس وصفها

لأن ذلك يمكننا من إنتاج جمل جديدة ، على الرغم من أن " النظرية اللغوية الجديدة ماهي إلا واحدة من النظريات اللغوية التي طورت في أمريكا من النظرية البنوية و بعض النظريات المنطقية " ⁷.

فالقواعد التوليدية لم تنشأ من فراغ أو من رفض جميع النظريات اللغوية السابقة ، لكنّها انتقت ما رآته صوابا منها و ما رآته غير ذلك قدمت العلة من رفضه . و لم تكتف بالأخذ من النظريات اللغوية وحسب بل تعدتها إلى النظريات المنطقية لتصبح النظرية ليست لغوية فقط بل تجاوزت اللغة إلى مواضيع أخرى كالأدب والنقد وعلم النفس ⁸.

إذن فالفكرة التي ركز عليها النحو التوليدي هو تفسير البنية اللغوية و تحليلها لأن الغاية من دراسة النحو " فهم تحليل بناء الجملة تحليلًا لغويًا يكشف عن أجزائها و يوضح عناصر تركيبها و ترابط هذه العناصر بعضها ببعض بحيث تؤدي معنى مفيدا و يبين علائق هذا البناء ووسائل الربط " ⁹.

فالهدف من دراسة البنية ليس وصفها وإنما " تحليلها و تفسيرها لفهم كيفية صياغتها إضافة إلى أن التحليل الدلالي يفيد في إزالة غموض المصطلح المعجمي الخاص بمؤلف ما " ¹⁰.

وذلك لأن القواعد التوليدية التحويلية تسعى إلى عدم قصر غاية البحث اللساني على وصف الظواهر اللغوية بل أن تكون النظرية اللغوية قادرة على تقديم التفسيرات العلمية لجميع الظواهر اللغوية .

فالفكرة الرئيسة في النحو التوليدي التحويلي هي : " تحديد مجموع الامكانات التعبيرية الكامنة عند مستخدم اللغة حتى يتمكن من المختزن لديه أن يفهم جملا جديدة لم يقرأها ولم يسمعها من قبل " ¹¹.

مما يعني أن النظرية التوليدية التحويلية تدرس حتى الطريقة التي يتمكن بها المتكلم من انتاج الجمل الجديدة التي لم تسمع وتقرأ من قبل. لذلك فإن تحليل الجملة في نظرية تشومسكي اللغوية : " ليس تحليلًا للوظائف و إنما هو تحليل للعناصر إذ هدف الوصف اللغوي عنده يجب أن يتجه إلى بناء النظرية التي تُمكن من إنتاج جمل لا متناهية في اللغة الطبيعية " ¹².

فتحليل العناصر ووصف البنية ليسا هما الهدف وإنما وسيلة للوصول إلى صياغة نظرية لغوية تمكننا من معرفة القواعد الخفية التي تحكم بناء الجمل .

إذ إن القواعد التوليدية التحويلية تنهض على مجموعة من المكونات التي تتيح للبنى اللغوية تحليلًا ووصفًا يساعد على كشف المعطيات الدلالية المختلفة، و تربط هذه المكونات بين العناصر الصوتية و معانيها في الدلالة أي بين الشكل و مضمونه: العنصر الفونولوجي، عنصر التركيب، عنصر الدلالة ¹³

بمعنى عنصر إنتاج الأصوات ثم تركيبها في كلمة ثم جملة، ثم عنصر الدلالة أي المعنى الذي يؤديه التركيب، لذلك رأى تشومسكي أثناء حديثه عن النحو التحويلي أن وصف أي لغة يجب أن يشتمل ثلاث مركبات أساسية هي:

- المركب فونولوجي: الذي يعطي المورفيمات صورتها الصوتية .
- المركب إنتاجي: الذي ينشئ كل جمل اللغة المقبولة – علم التراكيب-
- المركب دلالي : الذي يمنح الجمل معانيها ¹⁴.

و ذلك يعني أن الحروف المكتوبة تأخذ صورتها الفعلية المنطوقة أثناء تركيبها صوتيًا و بتألف الأصوات تكون لها وظيفية تؤديها في التركيب هذا التركيب الذي تمنحه الدلالة معانيه الحقيقية.

فالنظرية اللغوية التي تعني وصف البنيات اللغوية و تفسيرها تقوم على تعدد الأنظمة التي تنضوي تحتها النظرية العامة و هذا التصور خالفت فيه النظرية التوليدية النظرية البنيوية .

فالسؤال الذي يطرح إذن " ليس ما هي العناصر الموجودة في الجملة ؟ بل كيف تكون هذه العناصر ؟. بالتالي فالمنهج الجديد قام بإثراء اللغة بمصطلحات لسانية فمثلا . فرق بين الكلام والقدرة عليه . وعد أن القدرة على الكلام هي الأساس الذي يجب أن تركز عليه القواعد اللغوية، كما يرى أن فهم القدرة اللغوية يفتح مجالا واسعا للبحث في اللغة الإنسانية وتحليلها" ¹⁵

أي أن النظرية التوليدية التحويلية تقدم نظرة واضحة عن بنية اللغة و ميزاتها الإنسانية واكتسابها وعلاقتها بالفكر الإنساني، فالتفريق بين الكلام والقدرة على إنتاجه يتيح تحليل الظاهرة اللغوية الإنسانية .

ومن كل ما سلف نستشف أن تشومسكي في كتابة البنى التركيبية عالج القضايا التي تظهر تميز اللسانيات التوليدية و التحويلية عن اللسانيات البنيوية ، و من ثم ينتقد مختلف أساليب التحليل المعتمدة ثم يعرض الشروط التي تحدد إجراء التحويلات.

مما يعني أن القضايا التي عرضها تشومسكي في نظريته تنقسم على ثلاثة أقسام :

– قسم عرض فيه اختلاف اللسانيات التوليدية عن اللسانيات البنيوية .

– قسم نقد فيه طرائق التحليل المعتمدة في دراسة الظاهرة اللغوية .

– قسم عرض فيه طرائق التحليل من خلال تحديد شروط ذلك و توسع في هذا القسم بعرضه للقواعد الكلية التي تحكم اللغات البشرية. ¹⁶

و الملاحظ في النظرية التوليدية التحويلية تأثر تشومسكي بالمنهج العلمي فقد رأى أنه : " يجب الكشف عن نظرية عامة في البنية النحوية ، وأدخل استعمال الرموز إلى التحليل ليضمن له ذلك أقصى درجة من الدقة في الوصف العلمي " ¹⁷.

حيث إنه يرى فيه وجوب وضع قاعدة عامة تضبط البنية النحوية للكلمات ، و لتحليل هذه البنية بدقة وضع رموزا رياضية لتراكيب لغوية توضح بدقة طريقة هذه الجمل .

كما أنه رأى : " أن اللسانيات الكلية تحكمها قواعد عامة موجودة في الذهن البشري الذي تشترك فيه الأجيال، هذه القواعد يشترك فيها جميع متكلمي اللغة " ¹⁸

وهذا يعني أن قواعد أي لغة موجودة في أذهان متكلميها، ومن منطلق أن اللغة هي تعبير عن أغراض ومتطلبات البشر تكاد تكون واحدة، فإن ذلك يعني أن القوانين التي يلجأ إلى المتكلمون تكون فيها قواسم مشتركة بالضرورة . وهذه القواعد المشتركة تسمى القواعد الكلية .

زيادة على ذلك فقد وضع تشومسكي مجموعة من المصطلحات لنظريته أهمها مصطلح التوليد¹⁹

■ مفهوم التوليد : أدخل تشومسكي مصطلح القواعد التوليدية للعلوم اللغوية منتصف الخمسينيات ، ويدل على معنيين مختلفين :

■ المعنى الأول وهو الأضيق والأكثر تخصصا من الناحية العلمية ، ويدل على مجموعة من القواعد والأحكام التي تعرف أنواعا مختلفة من النظم اللغوية .

■ المعنى الثاني وهو الأعم ويشمل ما نسميه " التوليدية " التي تعني مجمل الافتراضات النظرية والمنهجية المنوطة بالبنية اللغوية.²⁰

يدل مصطلح التوليد على " الجانب الإبداعي للسان و الملكة التي يمتلكها متكلم اللغة الذي له القدرة على تشغيل نظام لغوي (تركيبى، فونولوجي، دلالي) وذلك بتحقيقه في جمل تمثل أداءه"²¹

بمعنى أن الإنسان يسمع جملا محدودة لها قوالب تضبطها ، و من هذه القوالب يمكنه إبداع جمل لم يسمعها من قبل ، و من هنا يمكننا تكوين كل الجمل الممكنة في اللغة .

مثال جملة : أريد أن أفهم هذه النظرية . يولد منها ← جملة : أحب أن أتعلم هذه القواعد

فالقواعد التوليدية قواعد رياضية محددة متقنة وظيفتها تعيين وصف نحوي لبنية الجمل التي تولدها و اصطلاح Générative توليد مصطلح رياضي ويجب فهمه بهذا المعنى عند استعماله في الدراسات اللغوية .

من أجل ذلك تعد القواعد التوليدية على أنها مجموعة من الأحكام التي تهدف تطبيقها على عدد محدود من الوحدات تولد مجموعة محدودة أو غير محدودة من المتواليات syntagms التي يتألف كل واحد منها من عدد محدود من الوحدات ، ويشترط أن تكون هذه المتواليات صحيحة سليمة التركيب. ومن مهام القواعد التوليدية الأساسية أنها تعين لكل متوالية وصفا بنويا مناسباً.²²

فالتوليد يعني إذن القواعد التي تمكننا من توليد عدد من الجمل بناء على اختيارنا للكلمة الأولى التي تصلح للبدء بها و يهتم التوليد بتحديد الطاقات التعبيرية الكامنة

في اللغة الموجودة عند المتكلمين بها و التي تجعلهم يدركون معاني الجمل و التراكيب التي لم يسمعونها من قبل . كما يمكنهم من إنتاج عدد لا حصر له من الجمل.²³

وبأبسط مفهوم ؛ التوليد اخراج تراكيب جديدة من تراكيب متداولة يستعملها متكلم اللغة . ويشترط في التركيب المستخرج منه أن يكون سليما ، فنحن هنا كأننا نقوم بعملية القياس ، إذ أننا نملك قالبا جاهزا نصيغ على منواله وشاكلته ، وعليه فاحتمال توليد تراكيب غير سليمة من تراكيب سليمة غير وارد.

2- أعلام اللسانيات التوليدية المغاربة : يزخر المغرب العربي بلسانيين اهتموا و ألفوا في اللسانيات التوليدية أغلبيهم من المغرب الأقصى ، لعل أهمهم :

- مصطفى غلفان ، حافظ اسماعيلي علوي، محمد الملاح: ألفوا كتابا مشتركا عنوانه (للسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي. مفاهيم وأمثلة)
 - عبد القادر الفاسي الفهري²⁴ : الذي ألف كتابا عنوانه (اللسانيات واللغة العربية) .
- والملاحظ هنا أن المغاربة (المغرب الأقصى) اهتموا اهتماما بالغا بالتوليدية وقطعوا فيها أشواطا كبيرا تقارب التوليدية الغربية بل وتتجاوزها في بعض الأحيان.
- 3- جهود عبد القادر الفاسي الفهري في اللسانيات التوليدية : يؤكد كثير من الباحثين في اللسانيات التوليدية أن النموذج الذي يقدمه الفهري في هذا المجال يعد الأكثر تميزا، وذلك للأسباب الآتية :
- طرح قضايا تحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية ، وذلك بالانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي والتوليدي بشكل خاص.
 - الانطلاق من وعي ابستمولوجي يحرك البحث ويدفعه إلى تقديم الدرس اللساني عربيّه وغربيّه ويتمثل في ضرورة الفصل بين صنفين من اللسانيات ؛لسانيات ظواهر (تبرز خصائص أنحاء اللغات الطبيعية) ولسانيات محاور (تؤرخ لمنجزات الدرس النحوي القديم بتوظيف آليات نظرية وتحليلية ناضجة ابستمولوجيا) حتى إذا طرحت قضايا معينة لا تصاغ وفق مفاهيم واستدلالات القدماء وإنما تطرح بجهاز استدلالي يستوفي شروط المعايير العلمية الكامنة في التنظير اللساني الحديث.
 - وضع الفهري لبرنامج عمل يتجاوز الكلام الايديولوجي للتدقيق في قضايا تتوزع على قطاعات معرفية تبادلية (اللسانيات العامة ، اللسانيات الاجتماعية ، اللسانيات النفسية ، اللسانيات التطبيقية...) ويتمثل هذا البرنامج في :
- بناء نماذج آلية حاسوبية لإدراك اللغة واستعمالها تسترشد بالنماذج النفسية في إطار إدراك آليات اكتساب اللغة وتعلمها .
 - التأريخ للنحو العربي القديم بتوظيف منهجية المحاور التي وظفها هولتون .
 - استثمار نتائج اللسانيات النظرية في قضايا تدريس اللغة العربية.²⁵
- ويمكن أن نبسط أهم القضايا التي أبرز خصوصية جهد الفهري في الآتي :
- 1.3. الرتبة في اللغة العربية :اهتم التوليديون بقضية الرتبة وعدّوها المدخل لمعالجة مجموعة من القضايا أهمها: - إشكال الاعراب واتجاه الاسناد في اللغة العربية
- إشكال الضمائر والمتصلات بما فيها ظاهرة التطابق، وما تخضع له من تنوع ملحوظ في سماتها تبعا لترتيب المكونات داخل الجملة.
- إشكال النقل ، فالتركيز على الرتبة الأصلية وآليات اشتقاقها يمكننا من فهم آليات اشتقاق الرتب الممكنة.²⁶
- وقد أورد الفهري في كتابه " اللسانيات واللغة العربية" ما يلي: "اعتبر كرينبرك Greenberg أن اللغة العربية من نمط: ف.فا.مف واعتبرت هذا أصل الرتبة كذلك في إطار التحليل التوليدي الذي قدمته لهذه اللغة. إلا أن شومسكي يكاد ينكر وجود لغات من هذا النمط"²⁷

ويلحق الفاسي الفهري على موقف شومسكي من مسألة الرتبة هذه في اللغة العربية قائلاً يعتقد شومسكي أن القاعدة المقولية التي يقترحها صالحة لجميع اللغات إذا وضعنا جانباً مسألة الترتيب داخلها:

ج م س صرفة م ف ، وبذلك تكون اللغات من نمط فعل، فاعل، مفعول غير موجودة نظراً إلى أن الفعل والمفعول يجب أن ينتظما في منظور شومسكي في مركب واحد هو المركب الفعلي، إلا أن شومسكي لا يستدل على هذا الموقف. وقد حاولت في أبحاثي أن أثبت أن اللغات من هذا النمط موجودة، وأن العربية لا يوجد فيها مركب فعلي²⁸.

إن التحليل التوليدي الذي اقترحه الفاسي الفهري لتراكيب الجملة العربية يؤكد على ضرورة اختصار قواعد التركيب العربي في قواعد قليلة سماتها الأساسية الشمولية والتعميم والوضوح والدقة في الصياغة.

وتمت البرهنة النظرية على أهمية الربط بين قضايا نحوية وردت متفرقة في النحو العربي القديم كالجمع بين الاشتغال والابتداء والتقديم والتأخير والربط بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية والتوحيد بين البنى التي اعتبرت اسمية في النحو العربي كالجمل الموصولة والاستفهامية.

إن في هذا الافتراض العام الذي يوحد بين الجمل التي اعتبرت اسمية وتلك التي اعتبرت فعلية، مما ينفي عن اللغة العربية أو اللغات التي توجد فيها جمل بدون فعل في السطح كاللغة الروسية أن تكون لغات معقدة أو غير طبيعية²⁹.

وعملت هذه التحليلات اللسانية الجديدة للغة العربية على تصحيح كثير من الأحكام المسبقة عن اللغة العربية والمتعلقة بكونها لغة معقدة أو لغة غير طبيعية. ويبين الفحص الدقيق لأعمال الفاسي التوليدي وأعمال المتوكل الوظيفية زيف الادعاءات القائلة بأن تطبيق اللسانيات على اللغة العربية يفرض عليها قواعد خارجة عن طبيعتها. يقول الفهري: "إن نظرية القواعد المقولية التي نحتاج إليها لا بد وأن تضع مثل هذه القواعد من بين القواعد غير الطبيعية Unaturel وغير المرغوب فيها، ونحن نرفض مثل هذه القاعدة في إطار الاستراتيجية البحث التي نتبناها والتي تجعل من اللغة العربية لغة طبيعية من بين مثيلاتها من اللغات الطبيعية الأخرى"³⁰.

2.3. التوسيط وازدواجية الرتبة : لاحظ الفهري في كتابه البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة أن دراسة ظواهر التطابق والدور الذي تلعبه علاماته تضل فقيرة، وليست هناك نظرية شاملة ومقنعة للتطابق³¹ مما جعله يركز على فكرة التطابق بين المركب الاسمي والحمل

- وسيط الإحالية: يقصد بها العلاقة بين الكلمة والضمير الذي يحيل إليه، وقد رأى الفهري أن كل أشكال اللواصق يمكن أن تكون ملتبسة ويرمز لكل منها بـ تط (التطابق)

- وسيط الاسمية: يرى الفهري أن التمييز بين اللغات من ناحية الإحالية غير كافٍ فالكلمات التي تكتمل اسميتها تتطلب اعرابا بينما العلامات غير الاسمية لا تتطلب اعرابا. [إذا كان تط اسما، فإن تط لا يتلقى اعرابا].

3.3. التنميط المتعدد: أصبح التنميط في اللسانيات المعاصرة يركز على التوسيط الذي يهدف إلى رصد الكليات الجوهرية المميزة للغات الطبيعية، ووطورت التوليدية البحث في مضمون الفرق بين الملكة البشرية عامة والملكة الخاصة بلغة محددة (فكرة النحو الكلي)، ويناقش الفهري هذه الفكرة ضمن التساؤلات الآتية :- هل هناك تلاؤم بين قيم الوسائط في كل اللغات الطبيعية؟

- هل ينبغي أن يحصر التوسيط في مكون معين من مكونات اللغة؟

- هل يمكن أن تكون قيم التوسيط متعددة في اللغة نفسها؟

4.3. البناء لغير الفاعل (البناء للمجهول):

قدم الفهري معالجة لفكرة البناء للمجهول انطلاقا من نظرية الربط العاملي في مرحلتين أساسيتين :

- الأولى: نقد تصورات النحاة القدامى بداية بتسميته (بناء للمجهول) الذي رآها غير موفقة واقترح (البناء لغير الفاعل، كما راجع مراجعة نقدية الخصائص الصرفية والتركيبية والدلالية لغير الفاعل، كما نقد تصور التوليديين في تمييزه بين الأفعال المبنية للمعلوم و الأفعال المبنية للمجهول، إذ لاحظ أن الأفعال المتعدية التي تبنى على (فعل) تختلف على مقابلاتها المبنية للمعلوم في شيئين:

▲ ينزع الفاعل (بدخول الحرف عليه أو بتركه) subject demotion

▲ يرقى المفعول إلى درجة فاعل object promotion

- الثانية: اجتهد في بناء نظرية جديدة للبناء لغير الفاعل.

4- ملاحظات عن الكتابات اللسانية التوليدية المغربية

إن المتتبع لمسار الدرس التوليدي في الثقافة العربية يلاحظ أن الكتابة التوليدية المغربية استطاعت " تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا و صرفا و تركيبا و دلالة ومعجما. و جاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا و مضمونا لنظيرتها الغربية أمريكية و أوروبية من عدة أوجه، في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط و قواعد البحث العلمي اللساني و خطابه"³²

فقد عرفت النماذج التوليدية تطورات متلاحقة، فرضت على كل باحث في إطار البحث اللساني التوليدي مواكبة المستجدات و المتغيرات الطارئة، فقد " أصبحت دراسة اللغة العربية محكومة بجملة من الأصول و المفاهيم النظرية و المنهجية المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدمة و نتائجها النظرية. فلم يعد ينظر للغة العربية نظرة حرة اعتبارية قائمة على التأمل و الانطباع، و إنما تتقيد المقاربة بالإطار النظري للنموذج الذي تشتغل فيه و تحاول تطبيقه على اللغة العربية مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال و البرهنة على ما تقوم به "³³.

لقد كان ذلك دافعا جعل الكتابة التوليدية العربية تحقق مجموعة من الأهداف منها:

- تمكّنها من صياغة قواعد للظواهر اللغوية المدروسة تتسم بالبساطة و الوضوح و الأناقة، على غرار ما هو معروف في النحو التوليدي.

- تقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيرا شموليا³⁴ وهذا ما نجده في كتابات الفهري و داود عبده مثلا .

إن مواكبة الكتابة اللسانية التوليدية العربية لمستجدات النظرية التوليدية، جعلها تخضع لتعدد النماذج اللسانية؛ و هو تعدد له إيجابياته. و من هذه الإيجابيات:

- إثراء البحث اللساني العربي - تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي

- تعميق المعرفة العلمية باللغة العربية - إثارة إشكالات جديدة و اقتراح الحلول المنهجية الممكنة

- التحليل العميق و الشامل للغة العربية³⁵

بيد أن هذه الإيجابيات لا تخفي الصعوبات التي مازالت تحد من فعالية الكتابة التوليدية العربية، نجملها في :

- عدم تقديم بحث توليدي متكامل للغة العربية .

- تناولها التجزيئي لقضايا اللغة العربية و الخلط بين النماذج اللسانية.

- عدم التدقيق في فرضياتها و مدى ملاءمتها للغة العربية³⁶.

و قد تمخض عن هذا الوضع " أن التعامل مع النماذج التوليدية تسم برؤية مرحلية لا تبحث عن المعالجة الشمولية لظواهر اللغة العربية، و إنما عن تقديم أشتات و "منوعات" من التحليل التوليدي الذي ينحصر في الاشتغال بمواد لغوية منتقاة من اللغة العربية أو مترجمة غليها من لغات أجنبية تلائم النموذج المقترح. و تكون الحصيلة وجود فراغات و قفزات في نحو اللغة العربية التوليدي، الذي تظل أجزاؤه تبحث باستمرار عن يتممها و يملأ هذه الفراغات "37. أما فيما يخص الموضوعات و القضايا التي يقترحها التوليديون، فيلاحظ أنهم يكتفون بتقديم اللبنة الأولى، لكنهم سرعان ما يتحولون إلى موضوعات جديدة مطبقين ما ظهر من افتراضات جديدة في البحث اللساني التوليدي دون أن يعودوا – إلا نادرا- لتعميق البحث و التحليل فيما تم وضعه من لبنات أولى و الدفع بها نحو صياغة، لا نقول نهائية، و لكن شاملة و عامة تأخذ بعين الاعتبار الظواهر المدروسة في تكاملها³⁸.

خاتمة

قدم الفهري جملةً من القضايا المهمة في الدرسين العربي و العالمي، بخاصة ما تعلق بإشكالات الرتبة والإسناد والتطابق والبناء للمجهول التي أرهقت الباحث العربي درساً وتحليلاً قديماً وحديثاً، كما قدم حلولاً لاشكالات التنميط المتعدد التي تعد جوهر التوليدية الداعية إلى صياغة نحو عالمي .

إن ما قدمه الفهري من جهود توليدية خدمت اللغة العربية وخدمت اللسانيات العالمية يجعلنا نقرّ بأن الوقت قد حان – في البحث اللساني العربي- لتجاوز مرحلة التمهيد والتبسيط والترجمة الحرفية للأفكار اللسانية الغربية وتطبيق ذلك طوعاً أو كرهاً على اللغة العربية، فقد بات لزاماً علينا الانتقال بجذّ وثقة إلى المساهمة الفعالة في البحث اللساني العالمي تنظيراً وتطبيقاً.

هوامش البحث:

- ¹ جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي و مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، (د، ط) 2001، ص 102
- ² كارل ديتريوننتج، مدخل إلى علم اللغة، ترجمة سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر، ط 1 (1424هـ-2003م)، ص 203
- ³ محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي و في الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، (د، ط) السداسي الأول، 2001، ص 76
- ⁴ مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ط 1 (1987م)، ص 52
- ⁵ أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 2002، ص 203
- ⁶ مليكا إفتيش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعيد مصلوح، وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، ط 2 (2000م)، ص 381
- ⁷ نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة (د، ط)، 2006م، ص 147
- ⁸ المرجع نفسه، ص 147
- ⁹ محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، (د، ط) 2003، ص 19
- ¹⁰ آن إينو، مراهنات دراسة الدلالات اللغوية، تراوديت بتيت و خليل أحمد، دارالسؤال للطباعة والنشر، دمشق، ط 1 (1401هـ - 1980 م)، ص 75
- ¹¹ ينظر. محمود فهي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة مزيده ومنقحة، ص 123
- ¹² محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د، ط) 1988 م، ص 199
- ¹³ ينظر. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، ط 1 (2002م)، ص 274
- ¹⁴ مصطفى حركات، اللسانيات العامة و قضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1 (1418هـ 1998م)، ص 102
- ¹⁵ محمد خليفة الأسود، التمهيد في علم اللغة، منشورات السابغ أبريل، ليبيا، ط 2 (1465هـ)، ص 36
- ¹⁶ ينظر. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط 1 (1982م)، ص 14
- ¹⁷ مليكا إفتيش، اتجاهات البحث اللساني، ص 381
- ¹⁸ M Jaszczolt, Semantic and Bragmatics Meaning in Language and Discours, Longman Person éducation, 1pub, 2002, p47
- ¹⁹ يعد التوليد أهم عنصر في النظرية التوليدية وبه تسمى النظرية، أما التحويل فما هو إلا صورة من صور التوليد.
- ²⁰ ينظر. جون لاينز، اللغة واللغويات، ترجمة محمد العناني، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1 (1430هـ-2009م)، ص 135
- ²¹ جان بيرو، اللسانيات، ترجمة الحواس مسعودي و مفتاح بن عروس، ص 107
- ²² ينظر. جون لاينز، اللغة واللغويات، ص 136

²³ ينظر. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، الرشاد للطباعة والتغليف، ط3 (1421هـ-2001م)، ص 227 ، 228

²⁴ عبد القادر الفاسي الفهري: خبير دولي في اللسانيات واللسانيات المقارنة. من مؤلفاته: اللسانيات واللغة العربية (1985)؛ اللغة والبيئة: أسئلة متراكمة (2007)؛ أزمة اللغة العربية في المغرب: بين اختلالات التعددية وتعثرات "الترجمة" (2010)؛ السياسة اللغوية في البلاد العربية: بحثاً عن بيئة طبيعية، عادلة، ديمقراطية، ناجعة (2013)

²⁵ حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة" دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1 (مارس 2009)، ص 282

²⁶ المرجع نفسه، ص 283

²⁷ الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج 1، ص 105

²⁸ الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج 1، ص 13

²⁹ المرجع نفسه، ص 13

³⁰ المرجع نفسه، ص 13

³¹ عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة،، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1 (1990)، ص 56

³² مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص 223

³³ المرجع نفسه، ص 223

³⁴ المرجع نفسه، ص 223

³⁵ المرجع نفسه، ص 231

³⁶ المرجع نفسه، ص 231

³⁷ المرجع نفسه، ص 235

³⁸ المرجع نفسه، ص 235